The Concept Of Informativity Between Syntax Of the Sentence And Syntax Of The Text

مفهوم الإعلاميَّة بين نحو الجملة ونحو النص

Essam Tammam Abd El-Hamid Ali[*1], Abdul Rahman Othman Mohammed Al-Yatimi[2]
[1,2] Linguistics Department, Islamic University of Madinah, Saudi Arabia
tammam1436@iu.edu.sa[*1], a.rahman@iu.edu.sa[2]

Abstract
This study aims to establish the concept of informativity within Arabic syntax. It explores the definition of this term among textualists and highlights the differing opinions among Arab researchers regarding its translation despite a consensus on its meaning. The study also examines the levels of informativity recognized by the textualists. It elucidates the role of the audience in determining the informativity of a text based on their background knowledge, which enables them to anticipate the concepts and implications of the text. Furthermore, it identifies the sources of expectation that assist the audience in comprehending the text. The research then delves into the concept of informativity as understood by the Arabic grammarians, presenting the terms and expressions used to convey this idea. It reviews the criteria they established for achieving informativity within a sentence. The findings indicate that the grammarians understood informativity early, albeit with different terminology, such as benefit and reporting. They formulated criteria for assessing informativity in a text, which the study identifies as four key standards: novelty, the speaker's intention to inform, the completeness of the statement in terms of elements of prediction, and the appropriateness of silence. The research concluded that the concept of " informativity " differs between the textualists and the grammarians, with the former having a broader understanding. While grammarians limit informativity to achieving benefit, textualists consider it in terms of the recipient's expectations of the text's concepts versus the concepts the text conveys. Additionally, it was found that grammarians did not focus on establishing levels of informativity as the textualists did, who categorized it into three tiers. Furthermore, the grammarians addressed the boundaries of discourse about the concept of informativity, establishing the appropriateness of silence as a criterion for benefit or informativity.
Keywords: Arabic; Syntax; Sentence Structure; Text Structure; Sender; Receiver

مقدِّمة

حـاول النصـيُّون تقـديم تعريـف واحـد للـنص، إلا أن محـاولاتهم لـم تفلـح في ذلـك، فراحـوا يعرفونـه مـن خـلال مجموعـة المعـايير التي يجـب أن تتـوافر فيـه؛ فعرَّفـه دي بوجرانـد ودرسـلر تعريفًـا إجرائيًّـا بأنـه "حـدث اتصـالي تتحقَّـق نصـيتُه إذا جتمعـت لـه سـبعة معـايير،

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وهى الـربط والتماسـك والقصـدية والمقبوليـة والإعلاميـة والموقفيـة والتنـاص" (al-Fiqi, 1993:33-34) وقـد اهـتمَّ النصـيُّون بهـذه المعـايير واعتبروهـا سـماتٍ مميِّـزة للـنص، ورأوا أنـه "إذا اختلـت سـمة مـن هـذه السـمات يمكـن أن نطلـق عليـه نصًّـا ناقصًـا، ولـذا يمكـن أن نعـدها شـروطا ينبغي توفرهـا حتى يمكـن أن نطلـق عليـه نصًّـا كـاملًا"(al-Fiqi, 1993:29)، وقـد كـان لهـذا التعريـف مـن القبـول مـا لـم يكـن لغيره مـن التعريفـات؛ فقـد راعى الـنص مـن جميع جوانبه وعناصر تشكيله.

وقـد كانـت الإعلاميـة أحـد المعـايير السـبعة التي تضـمنها هـذا التعريـف، وقـد أولاهـا النصـيُّون اهتمامًـا كبيـرًا، فجعلوهـا مؤشـرًا على تحقيـق الفهـم لـدى المتلقـي، وكـان مـنطلقهم في هـذا الاهتمـام أن "أكبر وظـائف اللغـة أنهـا وسـيلة إبـلاغ، والإبـلاغ بحاجـة إلى الوضـوح ، والوضـوح أهـم مـن المحافظـة على شـكلية التركيـب، وقـد اصـطلح النحـاة على تسـمية نجـاح الإبـلاغ بمصـطلح الإفـادة" (Ḥssān,2006:2/14)، ولأهميـة الإعلاميـة واعتبارهـا مؤشـرا على الفهـم حـدَّد لهـا النصـيُّون درجـات أو مراتـب تحـدِّد مسـتوى هـذا الفهـم أو انعدامـه. وعلى الـرغم مـن جـدَّة مصـطلح الإعلاميـة، فإننـا نجـد لـه أصـولا في التـراث العربـي، فعلى سـبيل المثـال، كـان نحـاة العربيـة سـابقين إلى مفهـوم الإفـادة والـذي لا يختلـف مـع مفهـوم الإعلاميـة في حـدِه الأدنـى عنـد النصـيين، ويكفينـا في ذلـك تعريـف النحـاة للكـلام بأنـه اللفـظ المفيـد، كمـا سـبق الإمـام عبـد القـاهر الجرجـاني دي بوجرانـد في الإشـارة إلى مفهـوم الإعلاميـة، حيـث يقـول: "ومعنى القصـد إلى معـاني الكلـم أن تُعلِـم السـامع بهـا شـيئًا لا يعلمـه" (al-Jurjani, 1984:412) وهـذا عـين مـا ذكـره دي بوجرانـد حـين قـال: "كلمـا بعُـد احتمـال الـورود ارتفـع مسـتوى الكفـاءة الإعلاميـة"(Beaugrande, 1998:249) ويقصـد دي بوجرانـد باحتمـال الورودِ ورودَ المعني.

ومـن ثـم يسـتهدف هـذا البحـث التأصـيل لمفهـوم الإعلاميـة في التـراث العربـي وبالتحديـد في النحـو العربـي، مـن خـلال تتبُّـع مفهـوم الإعلاميـة عنـد النحـاة، وحصـر المصـطلحات والألفـاظ التي عبَّـر بهـا النحـاة عـن هـذا المفهـوم، كمـا يسـتهدف المقارنـة بـين مفهـوم الإعلاميـة عنـد النصـيين وعنـد نحـاة العربيـة وبيـان الفـروق بينهمـا، مـن خـلال تتبُّـع مقوِّمـات الكفـاءة الإعلاميـة ومعاييرهـا عنـد الطـرفين، ومراتـب الإعلاميـة عنـد النصـيين، ودور المتلقـي في تحديـد مرتبـة إعلاميـة الـنص مـن مـن خـلال توقُّعاتـه وخبراتـه السـابقة، ومـن دعا ذلك إلى محاولة حصر التوقعات التي يعتمد عليها المتلقي في فهم النص.

وقـد اقتضـت طبيعـة موضـوع الدراسـة أن يـأتي فـي مبحثـين، أحـدهما بعنـوان: مفهـوم الإعلاميـة عنـد النصـيين، والثـاني بعنـوان: مفهـوم الإعلاميـة عنـد نحـاة العربيـة، وقـد

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

رأى الباحثان أن يُقدَّم الكلام عن الإعلامية عند النصِّيين؛ باعتبار أن مصطلح الإعلامية من المصطلحات النصية التي لم ترد بلفظها عند نحاة العربية وإن كانوا سابقين إلى مفهومه بلفظ آخر، مثل الإفادة أو الإخبار. ويسعى المبحث الأوَّل إلى تتبُّع مصطلح الإعلامية في الدراسات الغربية، واختلاف الباحثين العرب حول ترجمته، مع بيان مقوِّمات الإعلامية ودرجاتها لدى النصِّيِّين، مع حصر توقُّعات المتلقي التي تعينه على الوصول إلى إعلامية النص وفهمه، وشرح الإجراءات التي يتخذها لخفض الإعلامية المرتفعة، في حين يسعى المبحث الثاني إلى تتبُّع المصطلحات والألفاظ التي استعملها نحاة العربية للتعبير عن مفهوم الإعلامية، مع حصر المعايير التي تحقِّق الإعلامية أو الإفادة في الجملة.

منهجية البحث

اعتمد البحث في تناول هذا الموضوع على المنهج الوصفي القائم على التحليل؛ حيث قام الباحث بجمع المصادر والمراجع المرتبطة بالإعلامية لدى النحاة ولدى النصيين، ثم حلَّل مقولاتهم للوصول إلى وصف لمفهوم الإعلامية عند كلٍّ من الفريقين، مع تحليل هذا المفهوم واستقراء ملامحه في التراث النحوي.

نتائج البحث ومناقشتها

مفهوم الإعلامية عند النصيين

يعود مصطلح الإعلامية إلى الكلمة الإنجليزية *Informativity*، وقد تباينت ترجمة الباحثين العرب لهذا الأصل الإنجليزي، فجاء عندهم بألفاظ مختلفة إلا أنها جميعها يتفق في المفهوم، فقد ترجمه الدكتور تَّمام حسَّان إلى الإعلامية (Beaugrande, 1998:105) ، في حين ترجمه الدكتور سعيد بحيري إلى الإبلاغية (Wolfgang, 2004:81)، أمَّا الدكتور يوسف نور عوض فقد استعمل لفظ الإخبارية مقابلا لهذا الأصل الأجنبي(Awaḍ, 2002:102)، وعلى الرغم من اختلاف الباحثين العرب في ترجمة هذا الأصل، فإنهم يتَّفقون جميعًا حول مفهومه. ويشير المفهوم العام للإعلامية عند النصيين إلى مدى توقُّع المتلقي لمحتوى النص أو دلالاته في مقابل ما لا يتوقَّعه، ووفقًا لهذا الفهم يعرِّف فولفجانج الإعلامية بأنها "مدى توقع عناصر النصِّ المقدَّمة أو عدم توقُّعها، أو معرفتها أو عدم معرفتها /غموضها"(Wolfgang, 2004:81)، وبعبارةٍ قريبة من عبارة فولفجانج يعرِّفها الدكتور إلهام أبو غزالة بأنها "مدى التوقُّع الذى تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقُّع، أو المعلوم في مقابل المجهول" (Abū Ghazālah et al, 1999:33) .

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وتشير هذه التعريفات إلى أن الإعلامية لا تتوقَّف عند مجرَّد الإخبار أو الإعلام، وإنَّما يتعدَّى ذلك إلى مدى توقُّع المتلقي لدلالات النص في مقابل عدم توقُّعه لهذه العناصر، وهذا ما نصَّ عليه دي بوجراند في إشارةٍ إلى مصطلح الإعلامية، يقول: "يمكن النظر إلى هذا المصطلح لا من حيث إنه يدل على المعلومات التي تشكِّل محتوى الاتصال، بل من حيث يدل بالأحرى على ناحية الجدة أو التنوُّع التي توصف بها المعلومات في بعض المواقف"(Beaugrande, 1998:22) ووفقًا لهذا الفهم يرى دي بوجراند أن "إعلامية أي عنصر إنما تكمن في قلة احتمال وروده في موقع معيَّن بالمقارنة بالعناصر الأخرى في نفس النص، وكلما بعُد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية"(Beaugrande, 1998:23, 249)

كما يقرِّر فولفجانج "أن كل نصٍّ هو إخباري على نحو ما؛ إذ إنه ينقل على الأقل معلومة صغرى، غير أن مقدار الإبلاغية هو ما يوجه اهتمام السامع" (Wolfgang, 2004:81) ؛ ولعلَّ هذا ما دعا الدكتور سعد مصلوح إلى القول بأن "الإعلامية تفترض ابتداء أن للكلام محتوى يجري إبلاغه للمتلقي بواسطة النص، ومن ثم فهي لا تعالج نصًّا غير محبوك (أي غير متسق) أصلا، ولكنها تتسلَّط على الكيفية التي يجرى بها عرض هذا المحتوى، إنها ـ بعبارة أخرى ـ تتعلق باستقبال الكلام على أنه نص ذو محتوى كما يتعلق بحكم المتلقي على طريقة عرض المحتوى بالجدة وبمدى توقُّعه لطريقة العرض"(Maṣlūḥ, 2004:231-232).

وإذا كانت الإعلامية تشير إلى الِجدة في مقابل عدم الجدَّة، فهي إذًا نسبية، لاختلاف الجدَّة من متلقٍّ لآخر، فما هو جديد عند متلقٍّ ليس جديدًا عند آخر، ولهذا قد يُخاطب شخصان بنفس النص، فيحقِّق مستوى إعلاميًّا عند أحدهما، فيما لا يحقِّق أي مستوًى إعلاميٍّ عند الآخر، ولعل هذا ما دعا النصِّيين إلى البحث عن آليات أو مستوى معياري لقياس مستوى الإعلامية للنص، وقد انتهوا في ذلك إلى تحديد ثلاثة مَدَيات أو مراتب للإعلامية لا تخرج إعلامية أيِّ نصٍّ من نصوص عن واحدةٍ منها.

وقد تخطَّى مفهوم الإعلامية عند النصِّيين الإفادة عند النحاة؛ فهم يرون أن كلَّ نصٍّ يحمل قدرا من المعلومات، إلا أن الإعلامية تتخطى في مفهومها النظر فيما يحمله النص من المعلومات، إلى مدى اتفاق هذه المعلومات مع ما يتوقعه المتلقي من معلومات، يقول دي بوجراند: "يمكن على الرغم من شيوع مصطلح الإعلام على مدى السنين أن ننظر إلى هذا المصطلح لا من حيث كونه يدل على المعلومات التي تشكل محتوى الاتصال، بل من حيث يدل بالأحرى على ناحية الجدة أو التنوُّع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف"(Beaugrande, 1998:249)، ومن ثم كان مفهوم الإعلامية عندهم يشير إلى "مقدار ما تتَّسم به الوقائع النصية من توقّعٍ في مقابِل عدم التّوقع، أو المعرفة في مقابل عدم المعرفة". Beaugrande et al, 1981:8).

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وإذا كان النحاة يعوّلون في تحقيق الإعلامية على بناء الجملة واستيفائها العناصر اللغوية والنحوية، فإن النصيين يرون أن النص قد يكون مستوفيًّا لشروط الصياغة وللعناصر النحوية إلا أنه قد لا يحقِّق الإعلامية لدى المتلقي، أو العكس، يقول دي بوجراند: "يمكن لورود عنصر لغوي معيَّن أن تكون له احتمالات مختلفة في النظم بسبب المطالب المختلفة للاتصال، فيمكن مثلا أن يكون محتملا من الناحية النحوية ولكنه غير محتمل من الناحية الدلالية أو العكس (Beaugrande, 1998:251).

ويرى النصِّيُّون أن الضابط في إعلامية النص هو توقعات المتلقي، فهم يرون "أن إعلامية عنصرٍ ما تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى من وجهة النظر الاختيارية، وكلما بعد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية" (Beaugrande, 1998:249)، ولا يعني ذلك أن بُعد محتوى النص عن توقعات المتلقي يصل دائمًا بالإعلامية إلى الدرجة المثلى، فقد يمتد ابتعاد محتوى النص إلى بُعد يصل بها إلى الغموض والإلغاز، فلا يحصل منه المتلقي على أي قدر من المعلومات، ومن ثم يوصف النص بأنه مفتقد للإعلامية، وإن كان في الحقيقة يحمل إعلاميةً تفوق قدرات المتلقي، إلا أن منشئ النص لم يراعِ في صياغته مستوى فهم المتلقي، ولهذا "يجب على المنتج في محاولته كسر توقع المتلقين أن يحذر كي لا يسبب صعوبة في معالجة الموضوعات إلى درجة الفشل في أداء مغزى النص، ومن ثمّ يفقد المتلقون انتباههم فيتركون قراءة النص، كما أن عليه ألا يجعل نصَّه مبتذلا سهلا حتى يؤدي إلى الملل"(Muṣṭafá, 2020:6).

ولا يعني الحكم على الإعلامية من خلال المتلقي أنه هو المسؤول عن تحقيقها في النص، وإنما يشير إلى أن المرسل عليه أن "يصوغ عباراته بحسب ما يقتضيه سياق الحال الذى يكون المستقبِل جزءًا منه وعليه أن يراعى معارفه وثقافته وتوقعاته" (Khalīl, 2007:348)، فمثلا على المرسل ألَّا يعمد في بناء النص إلى غريب الألفاظ وهو يدرك أن المتلقي لا يستطيع معرفة معاني هذه الألفاظ، وعليه فإنَّ الإعلامية تمثل ممارسة إجرائية من قِبل المرسل، فهو يراعي مجموعة من المحدِّدات التي تحقِّق ما أسماه دي بوجراند الكفاءة الإعلامية، فيجب على المتكلم أن يراعي المخاطب في مستوى إعلامية كلامه، ولنا في هذا أن نقول: لكل مخاطَب مقال، هذا إلى جانب مراعاة سياق الموقف الذي يورد فيه كلامه، فقد يكون النص ذا كفاءة إعلامية في موقف ويفتقد هذه الكفاءة في موقف آخر.

مراتب الإعلامية عند النصيين

جعل النصيُّون الإعلامية في ثلاثة مستويات أو لنقُل مَدَيات، يشير كل منها إلى درجة القرب أو البعد من توقُّعات المتلقي، يقول دي بوجراند:"هناك ثلاث مراتب للكفاءة

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الإعلامية: مرتبة متوسطة تتوازن فيها الكفاءة مع التأثير، ومرتبتان متطرفتان في مداهما تُرجَّح إحداهما كثيرًا على الأخرى"(Beaugrande, 1998:24) ، ويرى الدكتور تمَّام حسَّان أن ترتيب هذه الدرجات يكون وفقًا لِكَمِّ الإجراءات التي يبذلها المتلقي للوصول إلى إعلامية النص، يقول: "ويأتي ترتيب هذه الدرجات بحسب كمية موارد الإجراء التي تُسَخَر من أجل الدخل input"(Beaugrande, 1998:24)، وتتمثل مراتب الإعلامية عند النصيين في المراتب الثلاث الآتية:

١. المرتبة الأولى: الإعلامية العليا.
٢. المرتبة الوسطى: الإعلامية الوسطى.
٣. المرتبة الدنيا : الإعلامية الدنيا.

ولا يشير هذا الترتيب إلى مستوى كفاءة الإعلامية، وإنما يشير إلى ترتيب محتوى النص من بُعدًا وقُربًا من توقعات المتلقي، فالمرتبة الأولى هي الخارجة تمامًا عن توقعات المتلقي، والمرتبة الثانية هي التي تدخل في حيِّز توقعاته، أمَّا المرتبة الثالثة فهي أدنى من توقعاته، ولذلك تعد الدرجة الوسطى هي الدرجة المثالية من درجات الإعلامية، ولهذا فإن المرتبة الوحيدة التي تدخل في حيِّز توقعات المتلقي هي المرتبة الوسطى، أما المرتبتان العليا والدنيا فهما تمثلان مستوًى انحرافيًّا عن توقعاته، ويمكن شرح كل مرتبة من هذه المراتب بشيء من التفصيل على النحو الآتي:

١. الإعلامية العليا

تُوصَف إعلامية النص بالعليا إذا كانت مضامينه وما يحمله من معلومات أعلى من توقُّعات المتلقي، ويكون النص حينئذٍ في حكم المفتقد للإعلامية، فعندما "تكون نسبة الاحتمال مرتفعة جدّا، تنتفي المعلومة؛ إذ هي تفقد عنصر الجدّة" (Bū Jalāl, 2017:55)، ولا شكَّ أن "معالجة الوقائع ذات الإعلامية المرتفعة تتطلب بذل جهد كبير" (Abū Ghazālah et al, 1999:33) ؛ فهي "تشق على الشريك ويمكن أن تدفعه إلى التحول عن ذلك النص" (Wolfgang, 2004:81) ؛ لأن معلومات النص ستكون حينئذٍ خارج توقعات المتلقي تمامًا، و في هذه الحالة سيكون المتلقي أمام خيارين؛ أولهما: الانصراف عن النص والحكم بصعوبته وعدم جدِّته، والثاني: محاولة خفض إعلامية النص؛ فهذه الدرجة من الإعلامية هي على درجة عالية من الإلغاز والتعمية، ومن ثم فهي "تحتاج إلى خفض يهبط بها إلى مستوى الدرجة الوسطى التي يسهل فهمها عندما يجري فك شفرتها من قِبل المتلقي. (Ḥssān, 2007:149-150)

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ويُعـدُّ المرسِـل المسـؤولَ الأوَّل عـن تحديـد مسـتوى إعلاميـة الـنص، ولهـذا يرجـع ارتفـاع الإعلاميـة في المقـام الأول إليـه، وتختلـف أسـباب الإعلاميـة وتتعـدَّد بتعـدُّد عناصـر بنـاء الـنص، فمنهـا مـا يرجـع إلى سـياق الموقـف بمـا يتضـمنه الموقـف مـن مرسـلٍ ومتلـقٍ وظـروف اجتماعيـة، ومنهـا مـا يرجـع إلى السـياق اللغـوي ومـا يتضـمنه مـن عناصـر لغويـة وطـرق سـبك الـنص وحبكـه، ووفقًـا لـذلك يجـب أن يتسـق الـنص مـع الموقـف، فـإذا اختلـف معـه حـدث غمـوض لـدى المتلقـي؛ لأن المتلقـي تنحصـر دائـرة توقعاتـه في سـياق محـدَّد، فـإذا خـرج الـنص عـن سـياق توقعاتـه، كـان غامضًـا ومفاجئًـا ولـم يسـتفد منـه أيـة معلومـات، فهـو بمثابـة اللغـز، فبـدلا أن ينصـرف المتلقـي إلـى فهـم الـنص سينشـغل بالبحـث عـن علاقـة هـذا الـنص بالسـياق، وبـالطبع لـن يجـد أيـة علاقـة، ممـا يصـرفه عـن البحـث عـن فائـدة في الـنص، ويمكننـا التمثيـل على ذلـك بمـن يقـدم التهنئـة في سـياق التعزيـة؛ فمسـتقبِل الـنص سـيقف مـذهولا، ولسـان حالـه: مـا علاقـة هـذا الكـلام بمـا نحن فيه؟!

وممـا لـه صـلة بالسـياق نـوعُ الـنص، حيـث "تختلـف مطالـب النـاس مـن الكفـاءة الإعلاميـة بـاختلاف أنـواع النصـوص والمواقـف، فالمحادثـة بـين الأزواج فيمـا يبـدو تـتم بقـدر ضـئيل جـدا مـن الكفـاءة الإعلاميـة على حـين تتطلـب الأعمـال الفنيـة المعاصـرة أعلى مرتبـة" (Beaugrande, 1998:255)، فمـا يتوقَّعـه المتلقـي مـن نـصٍّ فنيٍّ مثـل القصـة أو الروايـة يختلـف عمَّـا يتوقعـه مـن نـص وظيفـي، مثـل التقريـر، يقـول الـدكتور تمَّـام حسَّـان: "إن توقـع مسـتقبل الـنص لمـا سـوف يظهـر في الـنص يـؤثر بقـوة في إدراكـه لنـوع الـنص الـذي أمامـه، فالـذي لا يُتوقـع في تقريـر فني قـد يكـون أقـل قـدرًا مـن عـدم التوقـع الحـادث فـي قصـيدة شـعرية، وممـا يثيـر الانتبـاه أن نلاحـظ أن مـن يصـادفون كلامـا فارغًـا سيسـتطيعون في العـادة أن يـروا لـه معنى إذا قيـل لهـم إن الـنص قصـيدة" (Ḥssān, 2007:389-380)، فالصـور البيانيـة متوقَّعـة لـدى المتلقـي في نـص فني، بينمـا يتكـون غيـر متوقَّعة في تقرير فني.

كمـا قـد تكـون عـدم مناسـبة الـنص للمسـتوى الثقـافي للمتلقـي، فمـا يصـلح لمخاطبـة بيئـة اجتماعيـة أو مهنيـة قـد لا يصـلح لغيرهـا مـن البيئـات أو الثقافـات، كـذلك قـد يكـون الإغـراب في اللغـة واسـتعمال الألفـاظ المهجـورة سـببًا في ارتفـاع إعلاميـة الـنص. ولمـا كانـت الإعلاميـة العليـا على درجـة مـن الإلغـاز والتعميـة، احتاجـت إلى تـدخل المتلقـي لمعالجتهـا وتخفيضـها، وقـد حـدَّد دي بوجرانـد ثلاثـة إجـراءات لتخفـيض الإعلاميـة المرتفعة، هي:

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

أ. الخفض الرجعي: وقصد به رجوع المتلقي بذاكرته إلى الخلف للبحث عن تفسير للنص الذي استصعبه، فقد يجد في خبراته السابقة ما يحل إلغاز هذا النص، يقول دي بوجراند: "لو رجع الناس إلى العناصر الواردة في الماضي البعيد من أجل العثور على طريق التحفيز فإنهم يقومون بخفض رجعي" (Beaugrande, 1998:255-256)، وقد يكون هذا الرجوع في ذات النص، فقد يفسِّر كلامٌ سابق في النص كلامًا لاحقًا في نفس النص، وهذا ما نجده كثيرًا في القرآن الكريم، فيما يُعرف بتفسير القرآن بالقرآن، وقد يكون الخفض بالرجوع إلى ما هو خارج النص من مواقف وخبرات سابقة، يقول دي بوجراند: "وتمتد إجراءات التفكير إلى ما وراء الانتفاع بمنطوق النص"(Beaugrande, 1998:256-257).

ب. الخفض التقدُّمي: وقصد به دي بوجراند البحث عن تفسير للنص من خلال إجراءات لاحقة للنص، كان يتقدَّم المتلقي في قراءة النص بحثًا عن تفسير للغموض الذي واجهه، وهذا أيضًا يمكن التمثيل عليه بتفسير القرآن بالقرآن ولكن في هذه الحالة يكون المفسِّر متأخرًا في الذكر عن المفسَّر.

ج. الخفض الخروجي: ويقصد به دي بوجراند البحث عن تفسير للنص من خلال نصوص أخرى، ويمكن التمثيل على ذلك بتفسير القرآن الكريم بالحديث الشريف، أو ما يُسمَّى بالتفسير بالمأثور.

وقد لا تقتصر محاولات المتلقي على الخفض من خلال النص، فقد يلجأ إلى مواقف وتجارب وحلول من خارج النص، وقد مثَّل دي بوجراند لأنواع الخفض الثلاثة بمواقف وإجراءات من خارج النص، يقول: "تمتد إجراءات التفكير إلى ما وراء الانتفاع بمنطوق النص، فإذا أُلقيَ القبضُ علينا دون أي تحذير أو دافع واضح فسنكون قد صادفنا تجربة من الدرجة الثالثة، وسنكون عرضة لأن نستجيب لذلك بإحدى الطرق الآتية: أن نعود بالفكر إلى تتبع أفعالنا القريبة العهد لنرى ما إذا كان أي واحد منها يصلح سببا للقبض (أي خفض رجعي). أو ننتظر حتى يقول لنا السبب بواسطة شخص من رجال القانون (خفض تقدمي). أو نحاول أن نتذكر الحالات التي حُجز فيها شخصٌ ما بسبب الخطأ في تحديد هوية هذا الشخص (خفض خروجي). فإذا نجحنا فإن هذه الأنشطة تخفض حدث إلقاء القبض، وإلا فلن نفهمه" (Beaugrande, 1998:256-257) وقد يستنفذ مستقبِل النص جهده دون أن ينجح في خفض الإعلامية، وإذا "لم يأت المستقبِل بأي حل فسوف يبدو النص في صورة كلام فارغ. (Ḥssān, 2007:379-380).

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

٢. المرتبة الثانية: الإعلامية الوسطى

تُعَـد الدرجـة الوسـطى أفضـل درجـات الإعلاميـة الـثلاث، حيـث تشـير هـذه الدرجـة إلى موافقـة محتـوى الـنص لتوقُّعـات المتلقـي، ومـن ثـم فـإن "الاتصـال يتحقَّـق عـادة على مسـار الدرجـة الوسـطى" (Beaugrande, 1998:125)، ومـن المعـروف أن غايـة المرسـل مـن الـنص هي تحقيـق الاتصـال مـع المتلقـي، ولا يتحقَّـق هـذا الاتصـال إلا إذا كـان مضمون النص في مدى توقُّعات المتلقي.

وإذا كـان تحقيـق الإعلاميـة في الدرجـة العليـا يرجـع إلى المتلقـي بمـا يتخـذه مـن إجـراءات لخفـض الإعلاميـة المرتفعـة، فـإن تحقيـق الإعلاميـة في الدرجـة الوسـطى يعـود في المقـام الأوَّل إلى المرسـل الـذي اسـتطاع أن ينشئ نصًّـا يصـيب بـه توقُّعـات المتلقـي دون أن يكلفـه جهـدًا أو عنـاء في خفـض إعلاميـة هـذا الـنص، ولـذلك يُعـد الـنص ذو الإعلاميـة الوسطى النصَّ الوحيد الذي يحقق الكفاءة الإعلامية.

٣. المرتبة الثالثة: الإعلامية الدنيا

تُوصـف إعلاميـة الـنص بالـدنيا، إذا كانـت المعلومـات التي تضـمَّنها أدنـى مـن توقُّـع المتلقـي، فهي بالنسـبة لـه معلومـات سـطحية مبتذلـة، ولـيس للمتلقـي أن يرفـع الإعلاميـة الـدنيا؛ فهي "تفتقـر إلى إعـلاءٍ يرقى بهـا إلى الدرجـة الوسـطى (وهـي الدرجـة المثلى في الإعلاميـة) ليؤولهـا المتلقـي إلى معنى مقبـول" (Ḥssān, 2007:149-150)، ولـذلك لـيس أمـام المتلقـي حينئـذٍ سـوى رفـض الـنص، فعلـى حـدِّ قـول فولفجانج:"إبلاغيـة ضـئيلة للغايـة (أشـكال الابتـذال والبـديهيات لمجموعـة محـددة مـن السـامعين) تُنـتج ملـلا؛ ويمكـن أيضًـا أن تـؤدِّى إلى رفـض نـصٍّ مـا. (Wolfgang, 2004:81). ومـن مظـاهر تـدَّني الإعلاميـة في الـنص شـيوع المعلومـات الـواردة فيـه، ومـن أماراتـه أن يكـون الخبر بـنفس لفـظ المبتـدأ، يقـول الـدكتور تمَّـام حسَّـان: "إعلاميـة الـنص قـد تكـون في الدرجـة الـدنيا كحـين يتفـق اللفـظ في ركني الجملـة، نحـو: الحـقُّ حـقٌّ والباطـلُ باطـلٌ. إذ لا يضـيف الخبر شـيئًا إلى مـا عبَّر عنه المبتدأ" (Ḥssān, 2007:149-150) .

ومـن أمثلتـه أيضًـا التكـرار في نحـو قولنـا: (الشـرقُ شـرقٌ والغـربُ غـربٌ)، فيـرى الـدكتور تمَّـام حسَّـان أن "الحقيقـة المعروضـة في هـذا الـنص معروفـة للقاصـي والـداني، ويبـدو أنـه لا فائـدة مـن ذكرهـا هنـا، فـالنص واضح التضـام والتقـارن، ومـا مـن شـك في تـوافر قصـد الكاتـب بقبـول الـنص على النحـو الـذى ورد بـه، بيـد أنـه نـص هامشـي وذلـك لخلوه من الإعلامية"(Abū Ghazālah et al, 1999:33)

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ووفقًا لهذا فإن مسؤولية رفع إعلامية النص تقع على المرسل، وله في ذلك أن يعتمد على مجموعة من الإجراءات الصياغية التي تخرج النصَّ من السطحية والابتذال إلى مستوى مقبول من الإعلامية، ومن هذه الإجراءات: مراعاة حال مستقبل النص، وسياق الموقف الذي يرد فيه النص، ونوع النص، فضلا عن بعض الإجراءات اللغوية العدولية، مثل: التقديم والتأخير، الالتفات بالضمير، البعد عن تكرار الألفاظ، استعمال بدائل معجمية للكلمات الشائعة، استعمال المفردات في علاقات تركيبية جديدة، استعمال صيغ صرفية بغير دلالتها المباشرة، كاستعمال صيغة فاعل بمعنى مفعول، إلى غير ذلك من الإجراءات التي تسهم في رفع الكفاءة الإعلامية للنص.

مصادر التوقُّع لدى المتلقي، و أثرها في فهم النص

لما كانت الإعلامية تشير في مفهومها العام إلى التوقُّع في مقابل عدم التوقّع، حرص النصيُّون على تحديد مصادر التوقُّعات أو المعارف لدى المتلقي، يقول دي بوجراند: "وإذا أردنا أن نستكشف الاحتمالات الاتصالية بتفصيلٍ أكثر، فنحن بحاجة إلى تقسيم التوقعات وتدريجها في طبقات" (Beaugrande, 1998:24)، وقد جعل التوقعات محصورة في الحقائق والمسلَّمات، وتوقُّعات الناس فيما يتصل باللغة، ونوع النص، وما ينشأ عن الموقف المباشر عند حدوث النص أو عند استعماله. (Beaugrande, 1998:263)
وبالاستفادة من مصادر التوقُّع التي ذكرها دي بوجراند، يمكننا حصر مصادر التوقُّعات عند المتلقي في المصادر الآتية:

١. المعتقدات الدينية والأعراف الاجتماعية: ويتمثل ذلك في المعلومات التي يختزنها الإنسان في ذاكرته، والتي تتشكل من خلال معتقداته الدينية والأعراف الاجتماعية، ويمكن وصف هذا النوع من التوقعات بالسياق الثقافي الذي يجب على المرسل مراعاته أيَّما مراعاة، فأي خروج عنه يفقد النص قيمته ويجعله مرفوضًا رفضًا كليًّا، فهذه المصادر لها من الثبات والقوة ما يجعلها غير قابلة للتسامح مع أي خروج نصيٍّ عنها، وتُعدُ النصوص الدينية. مثل القرآن الكريم والحديث الشريف عند المسلمين. مصدرا مهمًّا من مصادر تشكيل هذا النوع من مصادر المعرفة، فكل إعلامية تخالف هذه النصوص هي مرفوضة عند المتلقي ولا تمثل أي درجة من درجات الإعلامية.
٢. المسلَّمات والحقائق الثابتة:تتمثل هذه المسلَّمات والحقائق في المعلومات الثابتة بالعقل والمؤيدة بالواقع، كشروق الشمس من المشرق، وغروبها من المغرب، وأن

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

السماء فوقنا، والأرض من تحتنا، وقد مثل لها دي بوجراند أيضًا بالقول بأن الأسباب لها نتائج، وأن الزمن يتحرك في اتجاه واحد فقط، وأن المادة لا تفنى، وأن الكائنات لا يمكن أن تكون موجودة ومعدومة، أو حاضرة وغائبة، أو ممكنة ومستحيلة في وقت واحد وتحت نفس الظروف. (Beaugrande, 1998:263)

وتظل هذه المسلَّمات والحقائق ثابتةً في دائرة توقُّع المتلقي عند استقبال أي نص من النصوص، فلا يقبل الترخُّص فيها إلا في سياق النصوص الفنية كالروايات والقصص الخيالية، وفي الوقت الذي يختلف فيه الناس حول إعلامية المعتقدات والأعراف نجدهم يتفقون جميعًا على ثبات إعلامية المسلَّمات والحقائق، وعلى الرغم من ذلك فقد يقبل المتلقي كسر توقعات المسلمات والحقائق من قبيل الخيال أو الخرافة، إلا أنه يرفض كسر معتقداته وأعرافه بأي حال من الأحوال، ولهذا يجب أن يتعامل منشئ النص بحذر مع المفاهيم والمعلومات العقدية والعرفية حتى لا يكون نصُّه مرفوضًا.

٣. التجارب الشخصية: تعدُّ التجارب الشخصية مصدرًا مهمًّا من مصادر التوقُّع لدى المتلقي، وهي مصدر نسبي يختلف باختلاف الأشخاص ومن ثمَّ اختلاف تجاربهم، ولذلك تكون مرتبة الإعلامية بالنظر إلى تجارب المتلقي مرنة إلى حدٍّ كبير، فقد تكون الإعلامية متوسِّطة ومتَّزنة لدى متلقٍّ لما لديه من تجارب تعينه على توقُّع مضامين النص، في حين تكون إعلامية نفس النص مرتفعة وخارج دائرة التوقُّع لدى متلقٍّ آخر؛ لأنه لا يمتلك تجارب وخبرات تعينه على فهم النص، فعلى سبيل المثال لو أن نصًّا يصف الأعراف والتقاليد الغريبة لبلدٍ ما، ستكون إعلاميته مناسبة لمن زار هذا البلد أو قرأ عنه، في حين تكون إعلامية نفس النص مرتفعة وخارج التوقُّعات لمن لم يزُر هذا البلد أو لم يقرأ عنه، ولهذا يرى دي بوجراند أن "ما يُعد من بين العناصر الواردة خارج نطاق الخيارات المحتملة على درجة التقريب يصل بنا إلى المرتبة الثالثة من الكفاءة الإعلامية، والعناصر غير معتادة وشديدة الإثارة والانتباه، ومن ثم يصعب فهمها والسيطرة عليها (Beaugrande, 1998:255) ويقصد بالدرجة الثالثة الإعلامية الخارجة عن توقُّعات المتلقي، مما يجعل النص غامضًا وغير مفهوم.

٤. المعرفة اللغوية: يتمثل هذا النوع من التوقعات في رصيد المتلقي من المعرفة بألفاظ اللغة وقواعدها وأحكام صياغتها، فمن هذه الجهة يتوقَّع المتلقي أن يستقبل نصًّا مسبوكًا محبوكًا لا غرابة في ألفاظه، فإذا صادف النص توقُّعَه قبله وحقَّق إعلامية مناسبة من مضمونه، فإذا لم يصادف النص توقعات المتلقي انحرف إلى واحدة من

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

مرتبتي الإعلامية المتطرفتين العليا والدنيا، يقول دي بوجراند: "وللناس توقعات فيما يتصل باللغة مثل توقعاتهم بالنسبة لرصف العناصر والترابط المفهومي"(Beaugrande, 1998:263). إذًا لا يقتصر مفهوم الإعلامية على المفاهيم والدلالات الاجتماعية والثقافية التي يحملها النص، وإنما يمتد إلى طرق تأليف الكلام ونظمه في اللغة المنطوق أو المكتوب بها النص، فمثلا لن يكون مقبولا في نص باللغة العربية أن يكون المبتدأ نكرة بلا مسوّغ من مسوّغات الابتداء بالنكرة، أو أن يخبر عن اسم الذات بزمان، أو أن يكون المجرور مقدَّمًا على الجارّ، أو أن يكون حرف العطف ومعطوفه متقدِّمين على المعطوف عليه، كما لا يكون مقبولا في النص ألا ترتبط كل جملة بسابقتها أو لاحقتها برابط حتى يتحقق حبك النص، ومن ذلك أيضًا أن يستعمل المرسل كلمات غريبة وحشية مهجورة مما لا يقع في دائرة التوقعات المعجمية للمتلقي.

٥. نوع النص: جعل دي بوجراند نوع النص مصدرًا من مصادر التوقُّع لدى المتلقي، فيرى أن تحديد النص يُسهم في مدى توقعات المتلقي، فالإعلامية التي يتوقعها المتلقي من نصٍّ أدبي تختلف عنها في نص أو تقرير علمي، ولا تقتصر أهمية تحديد نوع النص على توقعات المتلقي، بل تمتد إلى تقييم كفاءة النص، فالنص الكُفء تتفق إعلاميته مع نوعه، أمَّا غير الكُفء فتختلف إعلاميته مع نوعه، ولهذا يرى دي بوجراند أنه "ربما كان في استطاعة الناس أن يستعملوا النصوص دون أن يحدِّدوا أنواعها، غير أن الكفاءة عندئذٍ تقِل وطريقة التفاعل بين المتكلم أو الكاتب وبين السامع أو القارئ تظل غامضة"(Beaugrande, 1998:419). وهنا يجب النص على ضرورة تسامح المتلقي في توقعاته وفقا لنوع النص، فما لا يقبله في بحث علمي قد يقبله في نص أدبي، يقول دي بوجراند: "يختلف التسامح مع تنوع التوقعات اختلافًا كبيرًا في الشعر الحديث عنه في التقارير العلمية، فكل عوالم النصوص القصصية تتم في تنظيمها بشيء من الحرية، ولو أن هذه الحرية ليست مطلقة، ولن يصيب القراء القلق لمظهر الحيوان الخرافي في عالم (أليس)"(Beaugrande, 1998:264) .

٦. التوقُّعات الفورية: وتتمثل هذه التوقعات فيما ينشأ عن الموقف المباشر عند حدوث النص أو عند استعماله، فلا يعتمد المتلقي في فهم النص على خبراته ومعلوماته المختزنة، وإنما يفهم النص فهمًا مباشرًا دون الرجوع إلى معلوماته أو خبراته السابقة، وهذا النوع من التوقُّعات ينبني على مهارة التعامل مع النصوص؛ فكثرة تعامل المتلقي مع نصوص من نوع معيَّن تُسهم بشكل كبير في فهمه لأي نص من هذا النوع فهمًا مباشرًا من خلال عملية تحليلية سريعة لا تعتمد على الخبرات والمعلومات السابقة،

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وهذا النوع من التوقُّعات لا يتوفَّر عند كثير من مستقبلي النصوص، وقد يكون النقاد وشراح النصوص من هذا النوع من مستقبلي النصوص.

مفهوم الإعلامية في النحو العربي

إذا كانت الإعلامية تشير في مفهومها العام إلى الإفادة وما يحصل عليه المتلقي من معلومات، فقد ورد هذا المفهوم العام كثيرًا في التراث العربي، ولم يقتصر وروده على النحو، بل ورد أيضًا عند البلاغيين العرب بنفس المفهوم، وقد كان تناول علماء العربية لمفهوم الإعلامية أو ما أسموه عندهم بالإفادة في سياق الاهتمام بتداولية الكلام بين المرسل والمتلقي، ولتتبُّع هذا المفهوم لدى علماء العربية يمكننا تقسيم الحديث فيه إلى نقطتين، هما:

مفهوم الإعلامية عند النحاة: إذا كانت الإعلامية عند النصيين تدور حول معنى الإفادة أو الإخبار أو الإعلام، فإننا نستطيع القول: إن نحاة العربية قد سبقوا إلى استعمال هذا المفهوم، حيث ورد هذا المفهوم عندهم في مراحل مبكرة من التأليف النحوي، وقصدوا به "إفهام معنى من اللفظ يحسن السكوت عليه من المتكلم أو من السامع أو من كل منهما". (Abdul-Ḥamīd, 2021;6-7) وإذا كان النصيُّون قد جعلوا الإعلامية أحد المعايير التي تحقِّق مفهوم النصية، فإن النحاة جعلوا الإفادة شرطًا في كون الكلام كلامًا، يقول ابن مالك في ألفيته:

كلامنا لفظٌ مفيدٌ كاستقم اسمٌ وفعلٌ ثم حرفٌ الكلم

ولما كانت الإفادة هي الغاية من الكلام أكَّد النحاة عليها بغير لفظٍ، فتارة يستعملون الاسم (الفائدة)، وتارةً أخرى يستعملون المصدر (الإفادة) و(الإخبار)، وتارة ثالثة يستعملون الفعل (أفاد)، و(أعلم)، و(أخبر)، وتصريفاتها، وفي كل هذا يقصد النحاة بالإفادة ما يحققه الكلام من فوائد أو معلومات جديدة لدى السامع.

وقد وردت هذه الألفاظ عشرات المرات في كتب النحاة، ومن نماذج ورودها قول المبرِّد في مقتضبه: "إنما كان الفاعل رفعًا؛ لأنه هو والفعل جملةٌ يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب"(Almubrid, 1999:1/8) ، وفي موضع آخر يقول: "إنما وُضِع الخبرُ للفائدة، فإذا قلت: كان عبد الله. فقد ألقيت إلى السامع اسما يعرفه فهو يتوقع ما تخبره عنه"(Almubrid, 1999:4/88) ، وفي شرح كتاب سيبويه يرى السيرافي أنَّ "حدَّ الكلام أن تخبر عمّن يُعرَف بما لا يَعرِف؛ لأنّ الفائدة هي في أحد الاسمين، والآخر معروف لا فائدة فيه، والذي فيه الفائدة هو الخبر، فالأولى أن تجعل زيدا المعروف هو الاسم وتجعل المنكور هو الخبر، حتى يكون مستفادًا"(al-Sirāfi, 2008:1/303).

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وفي شرح المفصَّل يرى ابنُ يعيش أنه "متى كان الخبرُ عن المعرفة معرفةً، كانت الفائدةُ في مجموعهما، فإن كان يعرفهما مجتمعَيْن لم يكن في الإخبار فائدةٌ" (Ibn Yaīsh, 2001:1/247) وفي همع الهوامع يرى السيوطي أن"..الإفادة إنما تحصل بالإسناد، وهو لا بد له من طرفين مسند ومسند إليه"(al-Suyūṭi, 1992:1/152)، ويرى في الأشباه والنظائر أن "الغرض من الإخبارات إفادة المخاطب ما ليس عنده، وتنزيله منزلتك في علم الخبر، والإخبار عن النكرة لا فائدة فيه، فإن أفاد جاز"(al-Suyūṭi, 1975:2/47). وفي كتاب الحدود في النحو يذكر الشهاب الأندلسي أنَّ "حدَّ الإفادة ما حصلَ للسامعِ ما لم يكنْ عنده بالوضعِ، أي بالقصد"(al-Andalusi, 2001:35)، وفي شرحه يذكر الفاكهي: "وعليه، فيُحَدُّ المفيد بما أفاد المخاطب ما يجهله، فلا يُسمَّى ما لا يفيد ذلك كلامًا, كالمعلوم بالضرورة ثبوته أو نفيه"(al-Fakihi, 1993:75)، في مغني اللبيب يقول ابن هشام: "الكلام هو القول المفيد بالقصد"(Ibn Hishaam, 1964:49).

ومن اللافت في هذه النماذج وغيرها مما استعمل فيه نحاة العربية مفهوم الإعلامية، أن استعمالهم لهذه الألفاظ جاء في سياق تداولي يركز على طرفي الاتصال في الحدث الكلامي المرسل والمتلقي، ويكفينا في هذا استعمالهم الألفاظ الإجرائية، مثل (الإفادة)، و(الإخبار)، والتي تشير في دلالتها إلى مخبِرٍ ومخبَرٍ ومخبَرٍ به، أي أنها تشير إلى المرسل والمتلقي والرسالة، وما ينتج عنها من الفائدة التي يحصلها المتلقي من الكلام، ولا شكَّ أن هذا الفهم لا يختلف عن مفهوم الإعلامية عند النصيين.

معايير تحقُّق الإعلامية عند النحاة

لم يقتصر تنبُّه النحاة إلى مفهوم الإعلامية على ذكر الألفاظ الدالة عليها، بل راحوا يناقشون المعايير التي تتحقق من خلالها، وإذا حاولنا استقراء هذه المعايير من كلامهم، وجدناها لا تخرج عن الأربعة الآتية: الأوَّل: الجِدَّة في الإفادة، الثاني: قصد المتكلم إلى الإفادة، الثالث: انبناء الكلام في حدِّه الأدنى من عنصري الإسناد، الرابع: حُسْن السكوت.

١. الجِدَّة في الإجادة

ركَّز النحاة في حديثهم عن الإفادة على عنصر الجدَّة، وأولوه اهتمامًا كبيرًا، يقول أبو حيَّان الأندلسي: "وإنما المفيد الذي يحصل منه للمخاطب علم ما لم يكن يعلمه قبل"(al-Andalusi, 1997:3.39) ومن ثم اشترط النحاة لتحقيق الجدَّة أن يكون المخبَّر عنه معرَّفًا حتى يصحَّ أن يُخبر عنه، يقول سيبويه: "وإذا قلت: كان رجلٌ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ذاهبًا. فليس في هذا شيء تُعلِمه كان جهلَه"(Sībawayh, 1988:1/54) ، فينفي سيبويه مفهوم الإفادة عن الكلام لعدم معرفة السامع بالمخبَر عنه، ويشرح السيرافي هذا الشرط، فيقول: "وحدُّ الكلام أن تخبِّر عمَّن يُعرَف بما لا يعرِف؛ لأنّ الفائدة هي في أحد الاسمين، والآخر معروف لا فائدة فيه، والذي فيه الفائدة هو الخبر، فالأولى أن تجعل زيدًا المعروف هو الاسم وتجعل المنكور هو الخبر، حتى يكون مستفادا"(al-Sirāfi, 2008:1/303).

ويُفهم من كلام السيرافي أن المخبَّر عنه لابد أن يكون معروفًا ومعهودًا لدى المتكلم والسامع كليهما، فإذا جاء الخبر عن هذا المعروف تمَّت الفائدة، ويُعلِّل السيوطي هذا الشرط، بأن "الغرض من الإخبارات إفادة المخاطب ما ليس عنده، و تنزيله منزلتك في علم الخبر، والإخبار عن النكرة لا فائدة فيه، فإن أفاد جاز"(al-Suyūṭi, 1975:2/47). وفي سياق مناقشة هذا الشرط من شروط الجدَّة، يشير المبرِّد إلى مسألة التوقُّع التي أشار إليها النصيُّون حين عرَّفوا الإعلامية بأنها "مدى توقع عناصر النصِّ المقدَّمة أو عدم توقعها، أو معرفتها أو عدم معرفتها /غموضها" (Wolfgang, 2004:81)، فيقول المبرِّد: "إنما وضع الخبر للفائدة، فإذا قلت كان عبد الله فقد ألقيتَ إلى السامع اسمًا يعرفه فهو يتوقَّع ما تخبره عنه" (Almubrid, 1999:4/88)، ويقول في موضع آخر: "فالابتداء نحو قولك: (زيد) فإذا ذكرته فإنما تذكره للسامع ليتوقَّع ما تخبره به عنه" (Almubrid, 1999:4/126)

وهنا لا يمكن القول بأن ما ذكره المبرِّد من مفهوم التوقُّع يتطابق تمامًا مع ما ذكره النصيُّون في تعريف الإعلامية، فمن أبرز الفروق بين الوجهتين أن التوقُّع عند المبرد لا يشير إلا إلى المعنى المتوقَّع من الخبر، وليس من الكلام في مجمله، بخلاف التوقُّع عند النصيين، حيث يشير إلى المعنى المتوقَّع من النص في مجمله أيًّا كان حجم هذا النص، وقد يكون في اشتراط النحاة لمعرفة المتلقي بالمخبَر عنه كسرًا لحِدَّة التوقع وبُعدِها في مستوى الجملة، فإذا كان المخبَر عنه معروفًا، وليكن (زيد) مثلا، فإن التوقُّعات حول الخبر الوارد عنه تكاد تكون محصورةً؛ لمعرفة السامع به وببعض أحواله وصفاته، ورغم ذلك فإن احتمال خروج الخبر عن التوقُّع وارد، بخلاف التوقُّع في مستوى النص الذي قد يكون فيه الخبر والمخبَر عنه غير متوقَّع لدى المتلقي.

وقد ترخَّص النحاة في بعض المواضع عن شرط الجدة لتحقيق الإفادة، اتكالا على خروج قصد المتكلم إلى أغراض أخرى غير إفادة السامع بما هو جديد، يقول الشاطبي: "وبالجملة ما يفيد وما لا يفيد إنما يرجع الحكم فيهما إلى الأغراض

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

والمقاصد الخاصّة، بشخصٍ شخصٍ وحالٍ حالٍ، وقد يكون ما هو مفيدٌ لشخصٍ ما غيرَ مفيد لآخر، وحَصْرُ ما يختلف بحسب الأشخاصِ والأحوال والمقاصد صعبٌ عسير"(al-Shaṭibi, 2007:2/51)، ومن ذلك أن يكون المخبَّر عنه والخبر معروفين لدى السامع، وحينها قد تكون الإفادة في مجموعهما، أو لقصدٍ آخر قصده المتكلِّم. ويبسط ابن السرَّاج القول في هذه المسألة فيقول: "متى كان الخبر عن المعرفة معرفة فإنما الفائدة في مجموعهما, فإما أن يكون يعرفهما مجتمعين وإن هذا هذا فذا كلامٌ لا فائدة فيه, فإن قال قائل: فأنت تقول: الله ربنا ومحمد نبينا, وهذا معلوم معروف, قيل له: هذا إنما هو معروف عندنا وعند المؤمنين، وإنما نقوله ردًّا على الكفار، وعلى من لا يقول به ولو لم يكن لنا مخالف على هذا القول لما قيل إلا في التعظيم والتحميد؛ لطلب الثواب به, فإنَّ المسبّح يسبّح وليس يريد أن يفيد أحدًا شيئًا وإنما يريد أن يتبرر ويتقرب إلى الله بقول الحق, وبذلك أمرنا وتعبدنا, وأصل ذلك الاعتراف بمنِّ الله عليه بأن عرَّفه نفسَه وفضلَه على من لا يعرف ذلك" (Ibn alsrrāj, 1996:1/66).

وقد بنى النحاة كثيرًا من الأحكام النحوية العامَّة على شرط الإفادة في الكلام والتي تحققها الجدة، فمتى انتفت الإفادة منعوا، ومتى تحقَّقت أجازوا، ومن ذلك:

أ. قولهم بتعريف المبتدأ وتنكير الخبر، يقول السيرافي: "إن ابتداءك بالنكرة لتحدث عنها غير مستقيم؛ لأن المخاطب ليس ينزل منزلتك في معرفتها. وحكم الخطاب المفهوم أن يساوي المخاطب المتكلم في معرفة ما خبره به" (al-Sirāfi, 2008:1/304)، وبنفس المعنى يقول ابن السرَّاج: "وإنما امتنع الابتداء بالنكرة المفردة المحضة، لأنه لا فائدة فيه, وما لا فائدة فيه فلا معنى للتكلم به". (ابن السرَّاج، ١٩٩٦: ١/٥٩) ولا تقتصر الإفادة على كون المبتدأ معرفة والخبر نكرة، فقد يكون الأمر كذلك إلا أن الكلام معروف ومسلَّم به لدى السامع، وعلى هذا يحد الفاكهي: الكلام المفيد بما "أفاد المخاطب ما يجهله، فلا يسمَّى ما لا يفيد ذلك كلامًا, كالمعلوم بالضرورة ثبوته أو نفيه"(al-Fakihi, 1993:75)، وقد مثَّل ابن السرَّاج لذلك بقوله: "لو قال قائل: النارٌ حارَّةٌ والثلجُ بارد، لكان هذا كلامًا لا فائدة فيه, وإن كان الخبر فيهما نكرة"(Ibn alsrrāj, 1996:1/66).

ب. عدم جواز الابتداء بالنكرة مالم تُفد، وفي هذا يقول ابن مالك:

ولا يجوز الابتدا بالنكرة مالم تُفد كعند زيد نمرة

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وفي شرحه يقول الأشموني: ولا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تفد "كما هو الغالب، فإن أفادت جاز الابتداء بها، ولم يشترط سيبويه والمتقدمون لجواز الابتداء بالنكرة إلا حصول الفائدة"(al-Ashmuni, 1955:1/192).

ج. عدم جواز الإخبار عن الذوات باسم الزمان مالم يُفد:

ولا يكون اسم زمان خبرا عن جثة وإن يفد فأخبرا

وفيه يقول ابن مالك: "ويخبر بالزمان عن أسماء المعاني، نحو: (الصوم اليوم)، و(السفر غدا) لا عن أسماء الذوات، نحو: (زيد اليوم)، فإن حصلت فائدة جاز"(Ibn Hishaam, 2017:1/201).

د. قولُ البصريين بعدم جواز تأكيد النكرة، يقول أبو البركات الأنباري: "وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أن تأكيد النكرة غير جائز من وجهين، أحدهما: أن النكرة شائعة ليس لها عين ثابتة كالمعرفة؛ فينبغي أن لا تفتقر إلى تأكيد؛ لأن تأكيد ما لا يُعرف لا فائدة فيه"(al-Anbārī, 1987:2/372).

٢. قصد المتكلم إلى الإفادة

القصد هو الإرادة، وهي أن يقصد المتكلم إفادة السامع أيَّ سامع كان" (Abdul-Ḥamīd, 2021:7) ومن المعلوم أن الكلام إذا خلا من القصد كان لغوًا، ولا يقصد المتكلم سوى إفادة المخاطب بما لا يعلم، ولهذا اعتبر بعض النحاة قصد المتكلم شرطًا من الشروط التي تحقِّق الإفادة، ووفقا لهذا يعرِّف الشهاب الأندلسي الإفادة بأنها "ما حصلَ للسامعِ مما لم يكنْ عنده بالوضعِ، أي بالقصد" (al-Andalusi, 2001:35). وهنا جعل الأبذيُّ قصدَ المتكلم ضمن حدِّ الإفادة، فمتى انتفى القصد انتفت الإفادة، وقد انقسم النحاة حول اشتراط القصد لتحقيق الإفادة فريقين، أحدهما عدَّه شرطًا لتحقيق الإفادة، والآخر لم يعدّه شرطًا، وقد أجمل السيوطي هذا الخلاف فقال: "... وهل يُشترط في الكلام القصد قولان؛ أحدهما: نعم، وجزم به ابن مالك وخلائق؛ فلا يُسمَّى ما ينطق به النائم الساهي كلامًا وعلى هذا يزاد في الحد مقصور، والثاني: لا، وصحَّحه أبو حيان"(al-Suyūṭi, 1992:1/49).

ويشترط السيوطي توفر القصد لتحقيق الإفادة، ولهذا يرى أن ما يُسمع من المجنون هو كلام إلا أنه غير مفيد لافتقاده عنصر القصد، يقول: "وشرطنا وقوع ذلك ممن تصح منه أو من قبيله الإفادة لئلا يلزم عليه أن يكون ما يُسمَع من بعض الطيور كلامًا، وقولنا القبيل دون الشخص؛ لأن ما يُسمع من المجنون يوصف بأنه كلام وإن لم تصح منه الفائدة، وهو بحاله لكنها تصح من قبيله وليس كذلك الطائر

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ولا يجوز أن يشترط فيحد الكلام كونه مفيدا على ما ذهب إليه أهل النحو"-al) Suyūṭi, 1992:1/150). ويُفهم من هذا أن الكلام قد يكون مفيدًا أو غير مفيد، فيرى أن كلام المجنون والساهي والنائم يُعدُّ كلامًا لموافقته تركيب الكلام عند العرب، وهو غير مفيد؛ لافتقاده القصد، أمَّا ما يُسمع من الطير فلا يعد من قبيل الكلام بحال. وينقل أبو حيَّان الأندلسي آراء بعض النحاة في هذه المسألة، فيقول: "من قال في حدِّ الكلام: (المفيد بالوضع)، اختلفوا في مراده بالوضع، فقال ابن عصفور: (معنى بالوضع بالقصد)، قال: يُقال: تكلَّم ساهيًا ونائمًا، ومعلوم أن الساهي والنائم لم يضعا لفظهما للإفادة، ولا قصداها، فهذا مفيد بغير الوضع"(al-Andalusi, 1997:1/35) ويُفهَم من كلام ابن عصفور الذي نقله أبو حيَّان أن الإفادة قد تتحقَّق دون القصد، ومن ثم يعتبر كلام الساهي والنائم مفيدًا رغم افتقاده لعنصر القصد.

كما ينقل أبو حيان رأي ابن الضائع الذي يرى أن كلام الساهي والنائم والمجنون لا يفيد بأي وجه من الوجوه، لا بالقصد ولا بالإسناد، ولا بغيرهما، يقول أبو حيَّان: "وكان شيخنا الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن علي الكتامي، المعروف بابن الضائع .رحمه الله تعالى .يقول: "قول المتأخرين: إن كلام الساهي والنائم والمجنون مفيدٌ إلا أنه بغير الوضع، لا ينبغي أن يُقال؛ لأن مثل هذا لا يفيد بوجه، فإذا قال النائم مثلًا: زيد قادم، ووافق ذلك قدوم زيد، فالفائدة لم تحصل من إخباره بوجه، وإنما حصلت من مشاهدة قدوم زيد لا من نفس الإخبار، فهو غلطٌ من قائله"(al-Andalusi, 1997:1/35). ويعلِّق أبو حيَّان على كلام ابن الضائع، فيقول: "وفُهِم من كلام الأستاذ أبي الحسن بن الضائع أنه لا يشترط في الإفادة قصد المتكلم إياها، وإنما يشترط فيها أن تكون على هيئة التركيب الموضوع في لسان العرب"(al-Andalusi, 1997:1/36).

وفي هذا التعليق يحمِّل أبو حيَّان كلام ابن الضائع ما لا يحتمل، فعبارة ابن الضائع كانت خاصَّة بكلام الساهي والنائم والمجنون، وقد نفى خلالها الإفادة عن هذا النوع من الكلام بأي وجه من الوجوه، في حين استخلص أبو حيَّان من العبارة حكمًا عامًّا لعموم الكلام، وزعم أن ابن الضائع لا يشترط في الإفادة قصد المتكلم، وإنما يشترط فيها أن توافق تركيب الكلام عند العرب، وهذا ما لا يدل عليه كلام ابن الضائع ولا يحتمله.

٣. انبناء الكلام في حدِّه الأدنى من عنصري الإسناد

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

اشترط النحاة لتحقيق الإفادة أن يكون الكلام في حدِّه الأدنى مركَّبًا من مسندٍ ومسندٍ إليه، فيما يُسمى عندهم بالإسناد، وهو يعني "نسبة إحدى الكلمتين حقيقة أو حكمًا إلى الأخرى بحيث تفيد المخاطب فائدة تامة، أي من شأنه أن يقصد به إفادة المخاطب فائدة يصحّ السكوت عليها"(al-Tahānawī, 1996:1/196)، وبمعنى آخر "هو ضم كلمة حقيقةً أو حكمًا أو أكثر إلى أخرى مثلها أو أكثر يفيد السامع فائدة تامة"(al-Kaffawi, 1988:99)، وبمعنى ثالث هو "ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة"(al-Jurjani, 1983:22).

وقد أكَّد النحاة على أن الكلام لا يكون كلامًا إلا إذا تألَّف من مسند ومسند إليه على سبيل الإفادة، يقول سيبويه: "هذا باب المسند والمسند إليه، وهو ما لا يغني أحدهما عن الآخر، ولا يجد المتكلِّم منه بدًّا" (Sībawayh, 1988:1/23) ، ويرى الزمخشري أن المبتدأ والخبر "لو جرِّدا لا للإسناد لكانا في حكم الأصوات التي حقُّها أن يُنعَق بها غير معربة"(Ibn Yaīsh, 2001:1/221) ويرى السيوطي أن "الإفادة إنما تحصل بالإسناد وهو لا بد له من طرفين مسند ومسند إليه" (al-Suyūṭi, 1992:1/152) ويستبعد الإمام عبد القاهر الجرجاني أن يقصد المتكلم إفادة السامع من غير طريق الإسناد والتعليق، فيقول: "وليت شعري كيف يُتصوَّر وقوع قصدٍ منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى، ومعنى القصد إلى معاني الكلم أن تُعلم السامع بها شيئًا لا يعلمه"(al-Jurjani, 1984:412).

ولأهمية الإسناد في تحقيق الإفادة، أجاز النحاة في المبتدأ والخبر أن يكونا معرفتين، استنادًا إلى الفائدة التي تتحقَّق من مجموع إسنادهما، وإلا فإن المبتدأ والخبر معروفان لدى السامع قبل دخولهما في علاقة الإسناد، ولولا الإفادة التي يحقِّقها الإسناد لما ساغ بناء الجملة من هذين المعرَّفين، يقول ابن يعيش: "تقول: زيدٌ أخوك. أي: هذا الذي عرفتَه هو أخوك الذي كنت علمتَه، فتكون الفائدةُ في اجتماعهما، وذلك الذي استفاده المخاطَبُ. فمتى كان الخبرُ عن المعرفة معرفة، كانت الفائدةُ في مجموعهما، فإن كان يعرفهما مجتمعَيْن، لم يكن في الإخبار فائدةٌ" (Ibn Yaīsh, 2001:1/247).

ووفقًا لهذا الفهم نفى النحاة عن محاكاة الطير للإنسان أن تكون كلامًا؛ لأنها لم تتضمَّن إسنادًا، يقول ابن أبو حيَّان: "وقول المصنف - رحمه الله - "ومحاكاة بعض الطيور للإنسان" ليس بشيء؛ لأنه قد قال في أول الحد: "ما تضمَّن من الكلم إسنادًا مفيدًا" والذي يُسمع من محاكاة الطير لم يتضمَّن من الكلم، فليس الطائر ناطقًا

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

بكلِم أصلًا، فضلًا عن أن يُضمَّن إسنادا مفيدًا، وإنما هي محاكاة أصوات لا نطق بكلم"(al-Andalusi, 1997:1/36).

٤. حُسْن السكوت

استعمل النحاة حُسن السكوت للدلالة على الإفادة في مراحل مبكرة من التأليف النحوي، فقد جعله سيبويه معيارًا لاستقامة الكلام ومعناه، يقول: "ألا ترى أنك لو قلت: فيها عبد الله حسن السكوت وكان كلاما مستقيما" (Sībawayh, 1988:1/88)، والاستقامة عند سيبويه لا تتحقق إلا بالإفادة، كما جعل المبرِّد السكوت حدًّا للجملة في أول استعمال لهذا المصطلح في تاريخ النحو، يقول: "وإنما كان الفاعل رفعا؛ لأنه هو والفعل جملةٌ يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر، إذا قلت: قام زيد. فهو بمنزلة قولك: القائم زيد"(Almubrid, 1999:1/8)

ولأهمية حُسْن السكوت في تحقيق الإفادة جعله النحاة حدًّا للمفيد من الكلام، يقول ابن هشام: "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلَّ على معنى يحسن السكوت عليه"(Ibn Hishaam, 1964:490)، ويشرح الفاكهي تحقيق الإفادة بالسكوت، فيقول: "والمراد من حُسن سكوته على القول المفيد أن لا يكون ذلك القول محتاجًا في إفادته السامع إلى شيء آخر, كاحتياج المحكوم عليه إلى المحكوم به أو عكسه، وهو المراد بقولهم: بحيث لا يصير السامع لكلام المتكلم منتظِرًا - أي محتاجًا في حصول الفائدة - لشيء آخر تحصل به الفائدة، فلا يضره احتياجه إلى المتعلقات من المفاعيل ونحوها"(al-Fakihi, 1993:73) ويُفهم مما جاء في آخر كلام الفاكهي أن المقصود بحسن السكوت في المقام الأول هو التركيب الإسنادي، وما عداه من المتعلقات لا يضر السامع في شيء، لأن المعنى إنَّما يتم بعنصري الإسناد، باستثناء بعض المواضع التي لا يحسن السكوت فيها عند حدِّ الإسناد، ومن ذلك المواضع التي يمتنع فيها حذف الحال، كأن يكون الكلام نهيًا وتكون الحال هي المقصودة بالنهي: كما في قوله تعالى: ﴿ولا تمشِ في الأرض مرَحًا﴾ (سورة الإسراء، من الآية ٣٧)، وقوله تعالى: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ (سورة النساء، من الآية ٤٣).

ومما لا خلاف فيه أن السكوت مما يُنسب إلى المتكلم لا السامع، إلا أن الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد عندما عرَّف الإفادة نَسَبَ حُسن السكوت إلى المتكلم أو السامع أو كليهما، يقول: "إفهام معنى من اللفظ يحسُن السكوت عليه من

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

المتكلم أو من السامع أو من كل منهما" (Abdul-Ḥamīd, 2021:5) وفي نفس الوقت ينقل الشيخ اختلاف النحاة حول نسبة حسن السكوت، ثم ينتهي إلى القول بنسبته إلى المتكلم، يقول: "اختلف النحاة فيمن يعتبر حُسنُ سكوته دليلًا على الإفادة، فقيل: المتكلم، وقيل: السامع، وقيل: كل منهما. وأصح هذه الأقوال أولها؛ لأنهم اتفقوا على أن التكلُّم صفة المتكلم، وعلى أن السكوت خلاف التكلُّم، فينبغي أن يكون السكوت صفةَ مَن التكلُّمُ صفتُه، وهو المتكلِّم" (Abdul-Ḥamīd, 2021:7). ومن المعروف أن السكوت وحسنُه مما يُنسب إلى المتكلم لا إلى السامع، فالمتكلم هو الذي يدرك مقصوده، فيسكت إذا أتم التعبير عن هذا المقصود، أمَّا السامع فيتخذ من سكوت المتكلم علامة على تمام المعنى، ولهذا جعل الشيخ خالد الأزهري القصد شرطًا لحُسن السكوت، يقول: "حسن سكوت المتكلم يستدعي أن يكون قاصدا لما تكلم به"(al-Azhari, 2000:1/16).

وقد كان حُسْنُ السكوت شرطًا للإفادة في كثير المواضع في النحو العربي، فمن ذلك اشتراط النحاة صحة السكوت على مرفوع الوصف الرافع لما يسد مسد الخبر- كما في قولنا: أقائم زيدٌ؟ فإذا حسُن السكوت على فاعل (قائم) صحَّ أن يسد مسد الخبر، فإذا لم يحسن السكوت عليه كما في قولنا: أقائم أبواه زيد؟ لم تتم الفائدة، ومن ثم لم يصلح أن يسد مسد الخبر. ومن خلال هذا العرض للإفادة ومعايير تحقُّقها على مستوى الجملة، يتبيَّن لنا أن مفهوم الإفادة أو الإخبار عند النحاة يشير إلى نفس مفهوم الإعلامية عند النصيِّين، وقد تنبَّه بعض الباحثين العرب إلى ذلك التشابه فترجم مصطلح infomativity إلى الإخبارية، مثلما فعل الدكتور تمَّام حسَّان، ولهذا يمكن القول إن نحاة العربية قد يبقوا إلى هذا المفهوم إلا أنهم قصروه على الجملة باعتبارها الحد الكمي الذي تناولوه في دراستهم للنحو وقضاياه.

ورغم هذا التوافق بين النحاة والنصيين في مفهوم الإعلامية، فإننا لا يمكننا الادِّعاء بأنهما يتطابقان تمامًا في تعريف الإعلامية، فقد أولى النصيُّون المتلقي دورًا كبيرًا في الحكم على إعلامية النص، وجعلوا توقعاته وثقافته معيارا للحكم على إعلامية النص، ومن الفروق بين الفريقين في التعامل مع الإعلامية، أن الإعلامية عند النحاة لا تخرج عن كون الكلام مفيدًا أو غير مفيد، أي أن الجملة لها درجتان من الإعلامية، إحداهما درجة سلبية تشير إلى انعدام الإعلامية في الجملة، والأخرى تشير إلى حصول الإعلامية في الجملة، أمَّا النصِّيون فجعلوا للإعلامية ثلاث درجات،

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

فالنص في كل أحواله يحمل إعلامية، إلا أنَّ هذا الإعلامية قد تكون في حيّز أو مدى توقعات المتلقي، وهذه أفضل درجات الإعلامية، وإمَّا أن تكون أدنى من توقعات المتلقي، وإمَّا أن تكون أعلى من توقعاته، إلا أنه يمكنه تخفيضها إلى الدرجة المتوسِّطة وإدخالها في حيّز توقعاته. وفي كل الأحوال يمكننا القول إن مفهوم الإفادة أو الإخبار يُعدُّ أصلا للإعلامية التي قال بها النصيُّون، وإن اختلف حجم الكلام الذي ترد فيه هذه الإعلامية عند كل فريق، وإن اختلفت معالجات كل منهما لهذه الإعلامية.

الخاتمة

أن مفهوم الإعلامية أو الإخبارية عند النصيين كان أوسع من مفهومها عند النحاة، ففي الوقت الذي تشير فيه الإفادة ــ أو لنقل الإعلامية ــ عند النحاة إلى تحقيق الفائدة، فإن الإعلامية عند النصيين لم تتوقَّف عند هذا الحد، فأشارت إلى مدى التوقع الذى تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم في مقابل المجهول. أنه لا يمكن القول بوجود مستوى محدَّد للإعلامية، ما دامت الإعلامية تختلف باختلاف الموقف، واختلاف المتلقي، واختلاف النص، فقد تكون الإعلامية في مستوى مقبول عند متلقٍّ وغير مقبول عند آخر لاختلاف المستوى الثقافي بينهما، وعليه يمكن القول إن الكفاءة الإعلامية نسبية للنص الواحد.

أن الإعلامية عند النحاة تتحقق بشروط ومعايير محدَّدة في النص ذاته، أما الإعلامية عند النصيين، فهي لا تقف عند حدود النص وتتخطى ذلك إلى توقعات المتلقي، وهي المقياس أو الضابط للكفاءة الإعلامية عند النصيين. أن النحاة لم يهتموا بتحديد مستويات أو مراتب للإعلامية كما فعل النصيُّون فجعلوها في ثلاثة مستويات: عليا ووسطى ودنيا، وإن كانت هذه المستويات نسبية لقياسها من خلال المتلقين، والذين تختلف توقعاتهم باختلاف مصادر هذه التوقعات. أن النحاة عالجوا حدود الكلام في سياق معالجة الإفادة أو لنقل الإعلامية فجعلوا حسن السكوت شرطا أو معيارا للإفادة، ومن ثم فهو معيار كمي وكيفي في الوقت ذاته، أمَّا النصيُّون فجعلوا الإعلامية معيارا من معايير النص، إلا أنها لم تكن المعيار الوحيد الذي يحدد نصية الكلام، فقد يكون النص عندهم كلمة واحدة إذا تحقَّقت فيه معايير النصية، ولم يأت هذا الفهم إلا بعد محاولات حثيثة من النصيين لوضع حدود كمية ومعنوية للنص، إلا أنهم لم يتفقوا في ذلك فتغاضوا عنه منصرفين إلى المعايير التي اقترحوها لاعتبار الكلام نصًّا.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الدعم:

هذا البحث مدعوم من عمادة الدراســات العليا والبحث العلمي بالجامعة الإســلامية بالمدينة المنوَّرة، ضمن برنامج (المجموعات البحثية الأول ١٤٤٤هـ) .رقم المشروع رقم (١٠٦٢).

This research is funded by the Deanship of Graduate Studies and Scientific Research at the Islamic University of Madinah, within the (First Research Groups the Research groups program 1444 AH) - Project No. (1062).

قائمة المراجع

Abdul-Ḥamīd, Muḥammad Muḥyī al-Dīn. (2021). Tanqīḥ al-Azharīyah, Dār Ibn Kathīr.

Abū Ghazālah, Ilhām, wa-Aḥmad, alá Khalīl. (1999). madkhal ilá ilm Lughat al-naṣṣ, taṭbīqāt li-naẓarīyat Robert dybwjrānd wwlfjānj dryslr. (2nd ed). al-Qāhirah : al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-Āmmah lil-Kitāb.

al-Anbārī, Kamāl al-Dīn Abū al-Barakāt (1407/1987). al-Inṣāf fī masā'il al-khilāf (taḥqīq: Muḥammad Muḥyī al-Dīn Abd al-Ḥamīd). Lubnān : al-Maktabah al-Aṣrīyah.

al-Andalusi, Abū Ḥayyān. (1997). al-Tadhyīl wa-al-takmīl fī sharḥ Kitāb al-Tas′hīl. (taḥqīq: Ḥasan Hindāwī). Dimashq : Dār al-Qalam.

al-Andalusi, Shihāb al-Dīn. (2001). Kitāb al-ḥudūd fī al-naḥw, taḥqīq: Najāt Ḥasan Abd Allāh Nuwalī, al-Jāmi'ah al-Islāmīyah bi-al-Madīnah almnwwarh.

Ibn Hishaam, (2017). Awḍaḥ al-masālik ilá Alfīyat Ibn Mālik, taḥqīq: mḥmmad Muḥyī al-Dīn Abd al-Ḥamīd, Manshūrāt al-Maktabah al-Aṣrīyah, Bayrūt.

al-Azhari, Khālid ibn Abd Allāh. (1421/2000). sharḥ al-Taṣrīḥ alá al-Tawḍīḥ aw al-Taṣrīḥ bmḍmwn al-Tawḍīḥ fī al-naḥw. (1ST ed). Bayrūt : Dār al-Kutub al-Ilmīyah.

al-Fakihi, Abd Allāh ibn Aḥmad. (1414/1993). sharḥ Kitāb al-ḥudūd fī al-naḥw. taḥqīq: al-Mutawallī Ramaḍān Aḥmad al-Damīrī. (2nd ed). al-Qāhirah : Maktabat Wahbah.

al-Fiqi, Ṣubḥī Ibrāhīm. (1421/2000). ilm al-lughah al-naṣṣī bayna al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq, dirāsah taṭbīqīyah alá al-suwar al-Makkīyah. (1ST ed). Dār Qibā' lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr.

al-Jurjani, Abd al-Qāhir ibn Abd al-Raḥmān. (1984). Kitāb Dalā'il al-i'jāz. (qirā'ah wa-ta'līq Maḥmūd Muḥammad Shākir). al-Qāhirah : Maktabat al-Khānjī lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī.

al-Jurjani, Alī ibn Muḥammad ibn Alī (1403/1983). Kitāb alt'ryfāt, taḥqīq: wa-ḍabaṭa wa-taṣḥīḥ : majmū'ah min al-'ulamā' bi-ishrāf Dār al-Kutub al-'Ilmīyah Bayrūt-lbnān, 1ST ed.

al-Kaffawi, Abū al-Baqā' (1998) alklyyāt, Mu'jam fī al-muṣṭalaḥāt wa-al-furūq al-lughawīyah, (taḥqīq: Adnān Darwīsh, wa-Muḥammad al-Miṣrī). Bayrūt: Mu'assasat al-Risālah.

Almubrid, Abū al-Abbās Muḥammad ibn Yazī. (1415/ 1994). al-Muqtaḍab. (taḥqīq: Muḥammad Abd al-Khāliq Uḍaymah). (3rd ed). al-Qāhirah : Lajnat Iḥyā' al-Turāth bi-Wizārat al-Awqāf al-Miṣrīyah.

al-Shaṭibi, Abū Isḥāq Ibrāhīm. (1428/2007). al-maqāṣid al-shāfiyah fī sharḥ al-Khulāṣah al-Kāfiyah, al-Nāshir: Ma'had al-Buḥūth al-'Ilmīyah wa-Iḥyā' al-Turāth al-Islāmī bi-Jāmi'at Umm al-Qurá-Makkah al-Mukarramah, 1st ed.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

al-Sirāfi, Abū Saīd al-Ḥasan ibn Abd Allāh. (2008). sharḥ Kitāb Sībawayh. (taḥqīq: Aḥmad Ḥasan Mahdalī, wa-Alī Sayyid Alī). Bayrūt : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

al-Suyūṭi, Jalāl al-Dīn. (1413/1992). Ham' al-hawāmi' fī sharḥ jam' al-jawāmi. (taḥqīq: Abd al-Salām Hārūn, wa-Abd al-Āl Sālim Mukarram). Bayrūt : Mu'assasat al-Risālah.

al-Suyūṭi, Jalāl al-Dīn. (1395/1975). al-Ashbāh wa-al-naẓā'ir fī al-naḥw., taḥqīq: Ṭāhā Abd al-Ra'ūf Sa'd, Maktabat al-Kullīyāt al-Azharīyah.

al-Tahānawī, Muḥammad ibn Alī. (1996). Kashshāf iṣṭilāḥāt al-Funūn wa-al-Ulūm,, taqdīm wa-ishrāf wa-murāja'at : Rafīq al-'Ajam, taḥqīq: Alī Daḥrūj, Maktabat Lubnān Nāshirūn Bayrūt, 1st ed.

al-Ashmuni, Alī ibn Muḥammad. (1955). sharḥ al-Ushmūnī 'alá Alfīyat Ibn Mālik (taḥqīq: Muḥammad Muḥyī al-Dīn Abd al-Ḥamīd). (1STed). Bayrūt : Dār al-Kitāb al-Arabī.

Awaḍ, Yūsuf Nūr. (1422h / 2002). Naẓarīyat al-naqd al-Adabī al-ḥadīth. (2nd ed). Dār al-Amīn.

Bū Jalāl, al-Rabī. (2017). Mi'yār al-I'lāmīyah fī al-Turāth al-naqdī wa-al-balāghī, al-Akādīmīyah lil-Dirāsāt al-ijtimā'īyah wa-al-insānīyah, Qism a'ādāb wa-al-falsafah, al- adad (18).

Buḥairy, Saīd Ḥasan. (1413/1993). ilm Lughat al-naṣṣ ; al-mafāhīm wa-al-ittijāhāt. (1STed). al-Qāhirah : Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah.

Beaugrande, Robert. (1418h 1998M). al-naṣṣ wa-al-khiṭāb wa-al-ijrā'. (tarjamat Tammām Ḥassān). (1STed). al-Qāhirah : Ālam al-Kutub.

Ḥssān, tammām. (1427/2006). maqālāt fī al-lughah wa-al-adab, Ālam al-Kutub, 1STed .

Ḥssān, tammām (2007). ijtihādāt lughawīyah. (1STed). al-Qāhirah : Ālam al-Kutub.

Ibn alsrrāj, Abū Bakr Muḥammad ibn Sahl. (1417/ 1996). al-uṣūl fī al-naḥw. (taḥqīq: Abd al-Ḥusayn al-Fatlī). 3rd ed. Mu'assasat al-Risālah.

Ibn Hishām, Jamāl al-Dīn. (1384/1964). Mughnī al-labīb an kutub al-a'ārīb. (taḥqīq: Māzin al-Mubārak, wa-Muḥammad Alī Ḥamad Allāh).(1STed). Dimashq : Dār al-Fikr.

Ibn Yaīsh, mwffaq al-Dīn ibn Abī al-Baqā'. (1422/2001). sharḥ al-Mufaṣṣal lil-Zamakhsharī. (qddam la-hu wa-waḍa'a hawāmishahu wa-fahārisahu Imīl Badī' Ya'qūb). (1STed). Bayrūt : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

Khalīl, Abd al-Na'īm. (2007). Naẓarīyat al-siyāq bayna al-qudamā' wa-al-muḥaddithīn ; dirāsah lughawīyah naḥwīyah dalālīyah, Dār al-Wafā' li-Dunyā al-Ṭibā'ah wa-al-Nashr, 1STed .

Maṣlūḥ, Saad Abd al-Azīz. (1425/2004). fī al-lisānīyāt al-'Arabīyah al-mu'āṣirah, Dirāsāt wmthāqfāt. Ālam al-Kutub.

Muṣṭafá, Ḥanān, Abd Allāh, Muḥammad. (2018). Mi'yār al-I'lāmīyah ladá Robert Dī bwjrānd wa-tajalliyātuh fī āyāt al-Qur'ān al-Karīm : dirāsah dalālīyah, Majallat al-Dirāsāt al-lughawīyah wa-al-adabīyah, al-mujallad (9), al-adad (1), al-Jāmi'ah al-Islāmīyah al-'Ālamīyah Mālīziyā.

Sībawayh, Abū Bishr Amr ibn Uthmān. (1408/1988). al-Kitāb. (taḥqīq: wa-sharḥ Abd al-Salām Muḥammad Hārūn). (3rd ed). al-Qāhirah : Maktabat al-Khānjī.

Wolfgang, hāynh mān. (2004). madkhal ilá ilm Lughat al-naṣṣ. tarjamat Saīd Ḥasan Buḥayrī, Maktabat Zahrā' al-Sharq al-Qāhirah, 1STed.

Beaugrande, Robert Alain De & Dressler, Wolfgang Urich. (1981). Introduction to Text Lingustics, London:Longman.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)